

دراسة لخزانة زاوية سيدي المداني بن الحاج (ت1311هـ/1893م)

بوادي الساورة - ولاية بشار-

ط: عويبيدي حبيبي / أ.د زعراط محمد

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

molayhabibi@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2017/11/05، تاريخ القبول: 2018/03/23

الملخص: إن الكتب هي التي تحمل في طياتها تاريخ الأمة وثرواتها، وتعرف بحضاراتها، ولهذا فالاعتناء بالكتب من الضروريات التي احتلت مكانة كبيرة لدى الأمم، رغم ما شأها من ضياع وإتلاف للمخطوطات. ومن جملة من اهتم بحفظ المخطوطات: المكتبات، المعاهد، الكليات، والزوايا. ومن بين هذه الزوايا زاوية سيدي المداني بلحاج التي عرفت بنشاطها العلمي المتنوع في مجالات عديدة كالفقه وعلوم اللغة والنحو والمنطق والتفسير وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الخزانة، الزاوية، المداني، الساورة، بشار

Abstract:

books carries the history of the nation and its civilization, that's why taking care of them became a very Important priority in spite of all the damages and degradation of those manuscripts libraries, institutes, colleges and zawias stored and saved the manuscripts we mention among them the zawia of sidi el madani belhadj which was known by its various scientific activity in different fields such as the jurisprudence, linguistics grammar and others.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد رحمة العالمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد:

كانت الزوايا الدينية ولا تزال إلى وقت الحاضر بالجزائر وغيرها من بلاد الإسلام بمثابة المؤسسات التعليمية والثقافية، والتكافلية الاجتماعية لما تقدمه من خدمات في هذه المجالات كما اهتمت بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم علوم الدين

والشريعة واللغة العربية، وفك النزاعات وإصلاح ذات البين، وإطعام الطعام، وإيواء الغرباء وطلبة العلم وعابري السبيل، زيادة على ما قام به مؤسسوها من جمع الكتب والمخطوطات بخزانات هذه الزوايا يستفيد منها مشايخها وطلابها وزوارها من الباحثين والمؤلفين وغيرهم.

ومن هذه الزوايا التي تزخر خزاناتها بالمخطوط العربي في شتى فنون العلم والمعرفة المنبثقة من أصول المعرفة الدينية للأمة الجزائرية (مذهب أبي الحسن الأشعري في العقائد وأصول الدين، ومذهب مالك بن أنس في أصول الفقه والفقه، وطريقة أبي القاسم الجنيد في السلوك والتربية الروحية) زاوية المرباط سيدي المدني بن الحاج (ت 1311هـ/ 1893م) ببلاد وادي الساوره بصحراء ولاية بشار الجزائرية التي تأسست على يد شيخها المذكور في حدود سنة 1270هـ/ 1853م.

هذه الزاوية تقع بقصر الماجة على ضفاف وادي الساوره بدائرة الواتة على بعد نحو 280 كلم جنوب شرق مقر ولاية بشار بالجنوب الغربي الجزائري، والتي قمنا بزيارة خزانها الزاخرة بالمخطوط كتباً ووثائقاً في مستهل هذا العام 2017م، ضمن فريق علمي من طلبة الدكتوراه في الدراسات القرآنية والتاريخ والحضارة الإسلامية بإشراف مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا في إطار عملية فهرست الخزائن التي انطلقت منذ سنة 200 وهي السنة التي اعتمد فيها هذا المخبر، محتفظ بالخزانة القائم عليها ببلدية الواتة بوادي الساوره ببشار وأحد أبناء مشايخها السيد

الفاضل: بلمداني البشير بن الشيخ الحاج عبد العزيز و هو من مواليد سنة 1972م بهذه الزاوية المباركة.

حظيت الزيارة العلمية بحفاوة الاستقبال والاطلاع على كل المخطوطات والوثائق التي تضمنتها هذه الخزانة، والتي كانت بحاجة ماسة إلى عملية الفهرسة والترتيب على حسب الفن والعلم شأنها شأن كثير من خزانات المخطوط بقطرنا الجزائري الغني بثرواته المادية والمعنوية. وفي ما يلي تعريف بهذه الزاوية وبخزانتها وما تحمله من تراث.

موقع قصر الماجة مقر زاوية سيدي المدني بن الحاج:

يقع قصر الماجة على ضفاف وادي الساورة بدائرة الواتة على بعد نحو 280 كلم جنوب شرق مقر ولاية بشار بالجنوب الغربي الجزائري، كما يبعد القصر بـ 5 كلم جنوب شرق وسط بلدية الواتة بدائرة الواتة المذكورة¹.

والقصر حسب الإصطلاح العمراني الصحراوي هو القرية المحصنة بالسور وأبراج المراقبة، ولها باب أو أبواب محكمة الإغلاق تحسبا لهجوم الأعداء².

غلب اسم هذه الزاوية على تسمية مقرها قصر الماجة حتى صار القصر كله يسمّى بعد تأسيس هذه الزاوية به بزاوية سيدي المدني بن الحاج³.

¹ عبد الله حمّادي الإدريسي، زاوية سيدي عبد الله بن الشيخ بوادي الساورة وفروعها بالصحراء المغربية الشرقية تاريخا ومناقب وبطولات، الطبعة الأولى 1434هـ/2013م، بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية بمناسبة إحتفالية الذكرى الخمسين للإستقلال(1962-2012م) ضمن سلسلة إحياء التراث التاريخي والثقافي لولاية بشار وصحاري جوارها الجزائرية، دار إبتكار للنشر والتوزيع، أولاد جلال-بسكرة-الجزائر، ص131.

² عبد الله حمّادي الإدريسي، الإستبصار في تاريخ بشار وما جاورها من الأمصار، الطبعة الأولى 1434هـ/2013م، بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية بمناسبة إحتفالية الذكرى الخمسين للإستقلال(1962-2012م)، دار إبتكار للنشر والتوزيع، أولاد جلال-بسكرة-الجزائر، ج1، ص85.

1/ شيخ زاوية قصر الماجة بوادي الساور المرابط سيدي احمد بن الحاج

أ/نسبه:

اشتهر اسمه اختصارا بسيدي المدني بن الحاج.

فهو: الشيخ محمد الصافي المكنى سيدي المدني بن الحاج بن المدني بن الحاج ابراهيم بن أحمد بن عبد الرحمان بن الولي الصالح سيدي عبد الله⁴ بن الشيخ مؤسس زاويته ببني يخلف قريبا من بلاد قرزم بوادي الساور سالف الذكر على بعد نحو 30 كلم جنوب شرق قصر الماجة سالف الذكر⁵.

هذا مشجر نسبه إلى جده سيدي عبد الله بن الشيخ، وينتهي نسبه كما وجدناه موثقا عند حفدته اليوم بالماجة إلى المولى عبد القادر الجيلاني دفين بغداد رحمة الله على الجميع.

اشتهر أسلافه بوادي الساور بلقب المرابطين كغيرهم من رجالات الزوايا الصوفية، وما ذلك إلا لأنهم ربطوا أنفسهم في طاعة الله وتأسيس الزوايا ورباطهم بها تعليما وعبادة وتربية وإصلاحا لذات البين وإطعام الطعام.

ب/مولده ونشأته:

³ يُنظر:

-De Lamartinière et N. Lacroix. Documents pour servir à l'étude du nord-ouest Africain. Imprimerie La Maison, L. Danel, de lille. 28 Février 1896. Tome 2/pp732-733.

⁴ هو الولي الصالح سيدي عبد الله بن الشيخ الغلبوني الساوري (ت 1140هـ/1728م).

⁵ أنظر عن زاويته وترجمته: عبد الله حمادي الإدريسي، الإستبصار في تاريخ بشار وما جاورها من الأمصار، ج2، ص88، ص108.

ولد سيدي المدني بن الحاج محمد الصافي رحمه الله تعالى بقصر قرزيم بوادي الساورة سالف الذكر عام 1236هـ/1820م أين تلقى تعليمه الأول على يد سلفه الميامين حيث صار قصر قرزيم يحتضن مقر زاوية جده سيدي عبد الله بن الشيخ سالف الذكر.

ومن زاوية سلفه بقرزيم بعد حياة الطلب، هاجر سيدي المدني شابا عام 1254هـ/1838م إلى خلوة يتعبد بها منعزلا عن الناس لمدة سبع سنوات، ثم رجع إلى مسقط رأسه قرزيم الساورية في حدود عام 1261هـ/1845م، ثم منها هاجر إلى بني قومي المسماة اليوم بدائرة تاغيت جنوب بشار الجزائرية، فأقام بها بقصر بربي متعبدا في هذا القصر في خلوة بيته إلى عام 1269هـ/1852م، ثم رجع إلى قرزيم ماکثا بها مدة قليلة⁶.

ج/طريقته الصوفية:

هي طريقة قادرية نسبة إلى مولاي عبد القادر الجيلاني دفين بغداد، ورثها عن سلفه الميامين الذين كانوا يلقنون أوراها للمريدين ولهم سند وسلسلة متصلة إلى المولى الجيلاني رحمه الله تعالى⁷.

د/تأسيسه الزاوية:

بعد أن استقر مهلة بقصر سلفه قرزيم بعد حياة الطلب والسياسة والتعبد في الخلوات بالصحراء، رحل سيدي المدني منها إلى قصر المايجة سالف الذكر في حدود سنة 1270هـ/1853م، فأسس به زاويته المتفرعة عن أمها بقرزيم والتي صارت تنسب إليه، فيقال لها على جهة الاختصار "زاوية سيدي المدني بن الحاج" فصار يعلم فيها الدين، ويحفظ فيها القرآن ويصلح بين الخصوم ويفك النزاعات بين الناس ويقضي بينهم ويطعم الطعام إلى أن وافاه أجله⁸.

⁶ يُنظر: بشير بلمداني، حياة الولي الصالح سيدي المدني بن الحاج وأحفاده، مرقونة من 7 صفحات، خزانة زاوية سيدي المدني بن الحاج بالمايجة بوادي الساورة، 26/04/2004م، بشار-الجزائر. ص 1-7.

⁷ المرجع نفسه، ص 1-7.

⁸ المرجع نفسه، ص 1-7.

هـ/وفاته رحمة الله عليه:

بعد حياة الطلب والدعوة إلى الله والتربية والتعليم توفي رحمة الله عليه بزاويته عام 1311هـ/1893م، وقرره بها شهر 9.

2/زاويته بعد وفاته والمشرق عليها حاليا:

سارت الزاوية بعد وفاة مؤسسها سيرة حسنة، يخطو مشايخها خطى سلفهم الميامين من تحفيظ للقرآن، وتعليم لعلوم الدين، والإصلاح بين الناس، وفك النزاعات، وإطعام الطعام، حيث تدعو حاجة أهالي الصحراء وقبائلها ضرورة إلى مثل هذه الزوايا الدينية وهؤلاء المشايخ أهل الإرشاد والتنوير¹⁰.

فحمل المشعل بعد وفاة المؤسس السادة:

1 – الشيخ المجاهد سيدي أحمد بن المداني (ت1336هـ/1917م):

تولى مشيخة الزاوية بعد وفاة والده سالف الترجمة سيدي المدني سنة 1311هـ/1893م فسار بها سيرة حسنة إلى أن قدم المستعمر الفرنسي إلى تخوم هذه البلاد، فكره سيدي أحمد بن المدني الوضع ولربما كان يرى بوجوب هجرة البلاد التي تغلب فيها الكافر الفرنسي النصراني فرحل إلى صحراء المملكة المغربية الشرقية في حدود سنة 1317هـ/1899م بعائلته من المأجّة ومعه بعض ذويه، فاستقر بدار هجرته ينتقل من بلاد إلى بلاد مجاهدا مع إخوانه المسلمين المغاربة هناك العدو الفرنسي إلى أن لقي ربه على ملة الإسلام سنة 1336هـ/1917م فأقبر غير بعيد من زاويته هناك بناحية تنغراس ببلاد تافيلالت (سجلماسة) وضريحه شهير بتلك البلاد، ولزاويته فروع بهذا الصقع الصحراوي المغربي أسسها ابنه المجاهد الولي الصالح الشهير الذكر سيدي المدني بن

⁹ المرجع: نفسه، ص ص1-7.

¹⁰ المرجع: نفسه، ص ص1-7.

أحمد (ت1391هـ/1971م) رحمة الله على الجميع والذي يحمل بنوه اليوم بالمغرب اللقب العائلي "شيعي" و "الشيخ"11.

2- الحاج التهامي بن عبد الوهاب (ت1395هـ/1975م):

هو من بني عمومة الشيخ المؤسس سيدي المدني سالف الترجمة.

فهو الحاج التهامي بن عبد الوهاب بن التهامي بن الحسين بن الحاج ابراهيم بن أحمد بن عبد الرحمان بن الولي الصالح سيدي عبد الله بن الشيخ .

يلتقي مع الشيخ المؤسس سيدي المدني في الجد المسمى الحاج ابراهيم بن أحمد المذكور في عمود النسب.

ولد بالمآجة سنة 1314هـ/1896م، وتولى مشيخة زاوية سيدي المدني بها بعد مغادرة ابن مؤسسها سيدي أحمد بن المدني المذكور في حدود سنة 1317هـ/1899م، فأشرف على شؤونها والذي لم يتول شؤون الزاوية مباشرة لكون ابن عمه أحمد بن المدني تركه صغيرا، فقام بشؤون الزاوية خادما مباركا بن فراحي إلى أن بلغ التهامي بن عبد الوهاب المذكور أشده، وتعلم على يد شيخه وسنده أحمد بن محمد الصالح الجكني فقام بشؤون زاوية الماجة من تدريس القرآن والفقه، وكان فرضيا يتقن علم الفرائض، وكان شاعرا ماهرا له قصائد في المديح والأمثال والحكم.

توفي رحمه الله تعالى بداره بالمآجة في تاريخ 19 رمضان 1395هـ الموافق ل 25 سبتمبر 1975م تاركا ذرية صالحة تسلك سبيله، ولقبه العائلي هو: بلمداني12.

كما لا ننسى أن نذكر المرابط آل سيدي عبد الله بن الشيخ الذي كان يساعد سيدي الحاج عبد الوهاب بن التهامي المذكور في تدبير شؤون زاوية الماجة وهو المرابط سيدي محفوظ بن

¹¹ المرجع: نفسه. ص ص1-7.

¹² المرجع: عبد الله حمّادي الإدريسي، زاوية سيدي عبد الله بن الشيخ بوادي الساورة وفروعها بالصحراء المغربية الشرقية تاريخا ومناقبها وبطولات، ص ص131-132.

مبروك بن عبد العزيز بن الحاج ابراهيم بن أحمد بن عبد الرحمان بن سيدي عبد الله بن الشيخ رحمه الله.

ولد سيدي محفوظ بن مبروك هذا والذي اسمه العائلي " بلمداني " سنة 1335هـ/1916م، وتوفي رحمه الله تعالى ببني عباس بواوي الساوره سنة 1384هـ/1964م¹³.

3-الحاج عبد العزيز بن الحاج التهامي(ت1424هـ/2003م):

ولد بالمحاجة سنة 1352هـ/1933م وتولى مشيخة الزاوية بها خلفا لوالده سالف الترجمة سيدي الحاج التهامي سالف الذكر بعد وفاته سنة 1395هـ/1975م)، فسار بالزاوية سيرة سلفه الميامين إلى أن وافه أجله رحمه الله تعالى بتاريخ نحو 05 شعبان سنة 1424هـ/ موافق 02 أكتوبر عام 2003م، ولقبه العائلي هو: بلمداني¹⁴.

4-الحاج محمد بن الحاج التهامي :

ولد بالمحاجة سنة 1365هـ/1946م وتولى مشيخة الزاوية خلفا لأخيه سالف الترجمة بعد وفاته سنة 1424هـ/2003م، فسار بالزاوية سيرة سلفه برك الله في أيامه وهو شيخ الزاوية الحالي، ولقبه العائلي هو: بلمداني، واشتهر ببلاده باسم "الحاج محمد البوشطي".

كما لا ننسى أن ننوه بذكر علم من أعلام هذه الزاوية وصلاحيها وهو مولاي العربي بن الطيب بن عبد الرحمان.

هو المرباط آل سيدي عبد الله بن الشيخ الشهير بـ"مولاي العربي" وهو طاهري-اسمه العائلي- مولاي العربي بن الطيب بن عبد الرحمان بن أحمد بن محمد بن الطاهر بن عبد الرحمان بن الولي الصالح سيدي عبد الله بن الشيخ.

¹³ المرجع: نفسه، صص 136-142.

¹⁴ المرجع: نفسه، صص 140-141.

كان مولاي العربي هذا يعيش في صغره بالجنوب الشرقي المغربي، ثم رجع إلى دار سلفه بوادي الساورة فاستقر بقصر الماجة وهو من مواليد نحو سنة 1353هـ/1934م، وقد تربى ببيت سيدي الحاج التهامي بن عبد الوهاب المذكور.

طلب العلم في كبره بعد وفاة أمه بزاوية ومدرسة الولي الصالح الشيخ سيدي الحاج محمد بن الكبير (ت1421هـ/2000م) بولاية أدرار الجزائرية.

فحفظ القرآن وقرأ الفقه وهو إمام بمسجد قصر الماجة العتيق وقد تقاعد حاليا، وإليه يرجع الناس في الصلح والعقود والدعاء في مجالسهم أفراحا وأقراحا برك الله تعالى في أيامه 15.

3/خزانة الزاوية ومكتبتها العلمية:

مقر هذه الخزانة اليوم هي بلدية لواتة بدائرة لواتة على بعد نحو 275 كلم جنوب شرق مقر ولاية بشار وعلى بعد 5 كلم شمال غرب مقر الزاوية بالماجة، والتي قمنا بزيارة خزانتها الزاخرة بالمخطوط كتبنا ووثائقا في مستهل هذا العام 2017، الخزانة التي يحتفظ بها ببيتها الخاص حاليا القائم عليها وأحد أبناء مشايخها السيد الفاضل: بلمداني البشير بن شيخ الزاوية الحاج عبد العزيز بن الحاج التهامي سالف الترجمة، الذي هو من مواليد سنة 1972م بهذه الزاوية المباركة.

خاتمة:

إنّ الزوايا من المعامل التي تزخر بالتراث من وثائق وكتب في مختلف الفنون، وتعتبر زاوية سيدي المداني بلحاج إحدى هاته الزوايا وقد اطلعنا على ما فيها من مخطوطات، فوجدنا بها ما يحتاجه الناس من العلوم في العبادات والمعاملات من الفقه والأصول والقضاء والفرائض، كل ذلك على مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى. وفي باب العقائد على مذهب الإمام أبي الحسن

¹⁵ المرجع: نفسه، ص 139-141.

الأشعري، وفي باب التصوف على مذهب الإمام الجنيد، واللغة العربية من نحو وبلاغة وبيان وخطب وأسرار لبعض السور، وبعض أسماء الله تعالى ومدح للنبي صلى الله عليه وسلم، كل ذلك نظماً وشعراً، شرحاً وتحشياً، وهو محفوظ بالخزانة إلى وقتنا الحاضر.